

(*) كذا عنونت هـٰذه الرسالة في (ب)، وسقطت من (أ) كلمة (نتائج) ، وفي كثير من النسخ عنونت باعتبار موضوعها ؛ فقيل : « رسالة في أحكام الذكر »، أو « رسالة تتعلق بكلمة التوحيد » .

وصف النسخ الخطية

تمَّ الاعتماد بحمد الله على نسختين خطيتين لهذه الرسالة ؛ وهما :

النسخة الأولى

نسخة **المكتبة المركزية** بمسجد السيدة زينب بالقاهرة ، ذات الرقم (٤٩٣١) .

وقعت في (٧) ورقات ، وكتبت بخط نسخي مستعجل ، ووقع الفراغ من نسخها سنة (١٢٤٥هـ) .

ورمز لها بـ (أ) .

النسخة الثانية

نسخة **المكتبة الأزهرية** بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٤٨٤٥٨) ، والخاص (١٤٢٠) مجاميع .

وقعت في (٤) ورقات ، من الورقة (١٩ـ ٢٢) ، وكتبت بخط نسخي معتاد .

ورمز لها بـ (ب) .



صور من المخطوطتين المعتمدتين

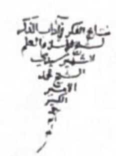
هذه رسالة الفكر بآداب الذكر
لشيخنا وشيخ مشايخنا وأشياخهم
العلامة الهمام حامل لواء المعقول
والمنقول ودراية الأصول و
الفروع الإمام النحرير
سيدي الشيخ محمد
ابن محمد بن أحمد
أبي عبد الله
الأمير
المالكي الصغير
رحمه الله
ورحمنا به
آمين

في نوبة العبد الفقير إلى مولاه
القدير محمد بن محمد بن عبد
السلام بن عبد القادر
النخلي المالكي الخلوتي
عفي عنه وفتح
عليه آمين
آمين
آمين

راموز ورقة العنوان من النسخة (أ)

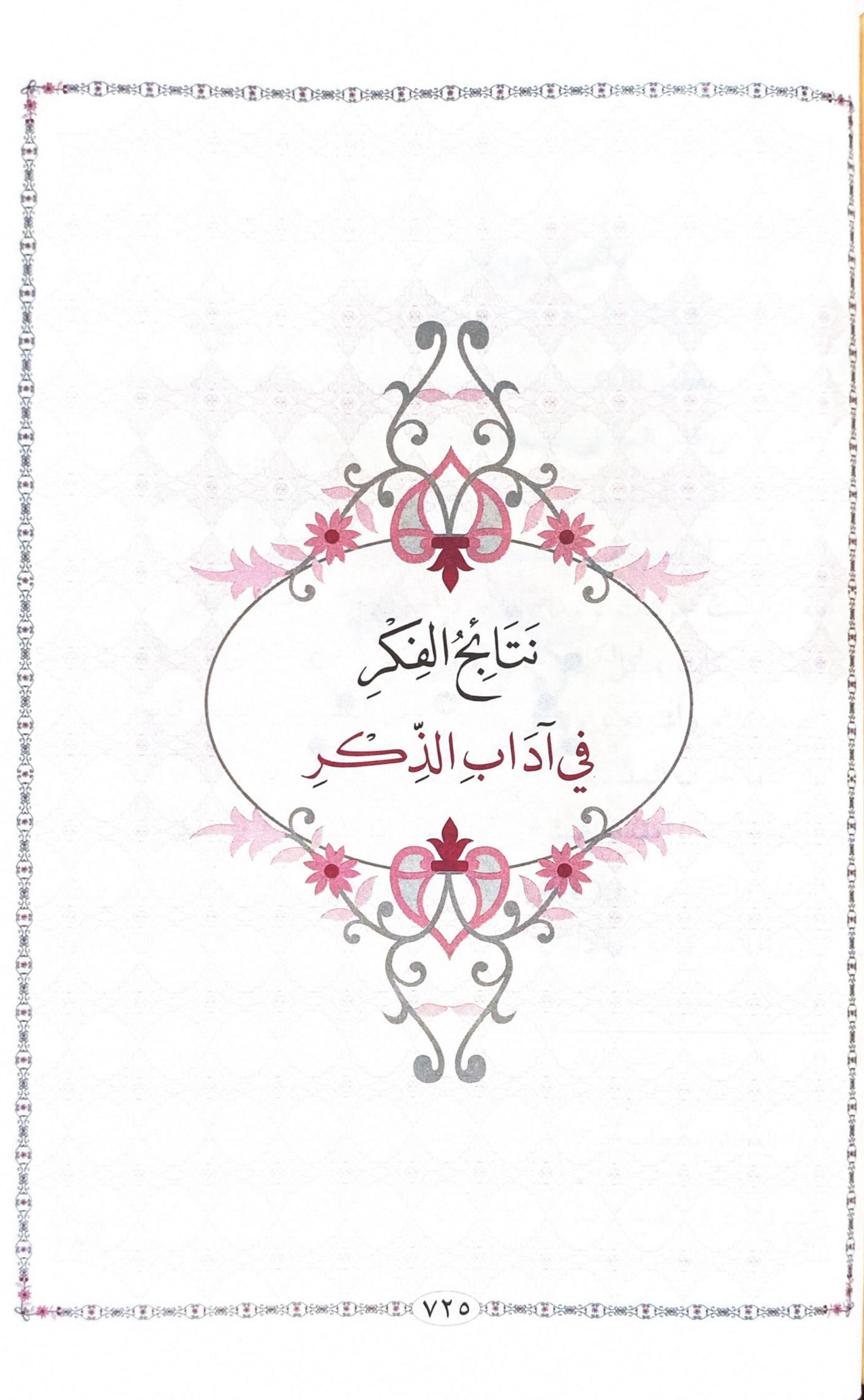
تعالى يتقبله ويرقيه من مقام لمقام فإنه
تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وسيجعل
الله بعد عسر يسرا والحمد لله رب العالمين
تمت رسالة الفكر بآداب الذكر في رابع يوم
من الحجة ١٢٤٥ سنة خمس وأربعين ومائتين
وألف من هجرته صلى الله عليه وسلم
والحمد لله رب
العالمين

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



راموز ورقة العنوان من النسخة (ب)

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)


نَتَائِجُ الفِكْرِ
فِي آدَابِ الذِّكْرِ

باسم الله، والحمد لله
والصلاة والسلام على رسول الله

سألني بعضُ الذاكرين المذكورين بخيرٍ، كفانا اللهُ وإياهم كلَّ ضَرَرٍ وضَير، عن قدر المدِّ في كلمة التوحيد[(١)].

فحاصلُهُ: **أن المدَّ في كلمة (لا)**؛ وهي أداةُ النفي التي بعدَها همزة (إلـٰه).. لا يجوزُ في الأفصحِ نقصُهُ عن ثلاث حركات[(٢)]، وتجوزُ الزيادة فيه إلىٰ ستِّ حركات، وما بين هـٰذين الحدَّينِ أمر واسعٌ؛ أربع حركات أو خمسُ حركات، كلٌّ جائز، هـٰذا الذي تواترَ عليه نقْلُ كلام ربِّ العالمين أفصحِ كلام وأشرفِهِ، وتسمِّيه القُرَّاءُ: (مدّاً منفصلاً)؛ لانفصال الهمزةِ عن كلمة حرف المدِّ.

والحركةُ: مقدار ضمِّ الإصبع أو فتحه بسرعةٍ مثلاً، ويكفي في ذلك التقديرُ والتخمين، ولا يشترطُ فيه التحقيقُ واليقين.

وأما مدُّ كلمة الجلالة: فلا يجوزُ نقصه عن حركتينِ؛ وهو المدُّ الطبيعي الذي لا تتحقَّقُ طبيعة الحرفِ بدونه؛ **وذلك**: أن الألف تقدَّرُ عندهم بحركتين.

---

(١) انظر تفصيل كيفية الذكر بكلمة التوحيد في « شرح العقيدة الصغرىٰ » (ص٣١٨)، وقال الإمام النووي في « الأذكار » (ص ٤٤): (ولهـٰذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مدِّ الذاكر قوله: لا إلـٰه إلا الله؛ لما فيه من التدبر، وأقوال السلف وأئمة الخلف في هـٰذا مشهورة).

(٢) قوله: (**الأفصح**) قيدٌ في الثلاث، وإلا فهو جائز بحركتين في الفصيح، ودون الحركتين لحنٌ، وانظر « النشر في القراءات العشر » (١/ ٣٢١).

ثم إذا وَصَلْتَ كلمةَ الجلالة بشيء ؛ كأن تقول : (لا إلـٰه إلا اللهُ محمدٌ رسول الله) ، أو تُكَرِّرَ كلمةَ التوحيد مراراً متَّصلةً من غير وقفٍ علىٰ كلمة الجلالة . . فلا تزدْ علىٰ حركتي المدِّ الطبيعيِّ .

وأما إذا سكَّنْتَ هاء الجلالة ووقفت عليها : فيجوزُ لك الزيادةُ في المدِّ إلىٰ ستِّ حركات ؛ لأجل السكون العارض للوقف ، ويجوز التوسُّطُ بين ذلك ، هـٰذا ما تواترَتْ عليه أشرفُ العبادات الإسلامية .

وذكر بعضُ أهل العلم : أنه إذا مدَّ كلمة الجلالة في تكبيرة الإحرام للتعظيم أو استحضارِ النية أو غيرِ ذلك . . فلا تضرُّ الزيادةُ إلىٰ أربعَ عشرة حركة ، وهو أقصىٰ ما نقلَ عن القُرَّاءِ ولو في الوجوهِ الشاذَّةِ[1] .

وقد أحببتُ أن أزيدَ علىٰ جوابِ السؤال ؛ اعتناءً بهـٰذه الكلمة الشريفة ، وتبرُّكاً بخدمتها ، وتحذيراً لأهلها عمَّا ابتُدِعَ فيها .

فاعلم : أنه صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال : « أفضلُ ما قلتُهُ أنا والنَّبيُّونَ

---

(١) كذا قال العلامة الدردير في « الشرح الصغير » ، والعلامة المصنف مستفيدٌ منه ، وانظر « حاشية الصاوي على الشرح الصغير » (٤/٧٩١) ، وأقصىٰ ما ورد في المدِّ في كتاب الله تعالىٰ هو ستُّ ألفات ؛ يعني : اثنتي عشرة حركة ، وانظر « النشر في القراءات العشر » (١/٣٢٦) .

وقال العلامة البجيرمي في « تحفة الحبيب » (٢/١٤٩) بعدما ذكر حدَّ المد فيما رآه القرّاء ولو شاذاً : (بألا يزيد علىٰ أربع عشرة حركة كما قاله ابن حجر ، فإن زاد عليها ضرَّ كما قاله المدابغي) ، **وبه تعلم** : أن المدَّ لستِّ حركات سنة متبعة في ذكر هـٰذه الكلمة الجليلة ، فإن وجد حلاوة في مدِّها فله المدُّ كما رأيت إلىٰ حدِّ أربع عشرة حركة ، والزيادة عليها مع الصحو وعدم الغلبة إساءة ، والزيادةُ على البياض برصٌ ، وتوسُّط الستِّ خيرُها ؛ إذ خير الأمور أوساطُها .

مِنْ قبلي : (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) »[1] .

وهو صلَّى الله عليه وسلَّمَ أفصحُ الفصحاء ، **فلتقلْها كما كان نبيُّكَ يقولها بلسانه الفصيحِ صلَّى الله عليه وسلَّم** ؛ وذلك بمعرفة صفةِ النُّطْقِ بها ، ومخارجِ حروفها ، فيتحقَّقُ لك بالتجويد كمالُ التسديد .

فاعلم : أن جميعَ كلمة التوحيد مرقَّقةٌ ، ولا يفخَّمُ منها إلا لامُ لفظ الجلالة فقط .

وأما مخارجُ حروفها : فقد انحصرَتْ حروفُها في أربعة ؛ اللام ، والألف ، والهمزة ، والهاء .

فمخرجُ اللام : من طرف اللسان يوضعُ في أصول الثنايا العليا .

ومخرجُ الألف : من أصل الجوف مع محض النَّفَس .

ومخرجُ الهمزة والهاء : كلاهما من الحَلْقِ ، غيرَ أن الهمزة أشدُّ من الهاء وأيبسُ .

ونهى العلماءُ عن السكتة علىٰ (لا إلـٰهَ) ؛ لما فيه من إيهامِ التعطيل ، بل يصلُهُ بالاستثناء والإثبات بقوله : (إلا الله) بسرعةٍ ، خلافاً لما سمعتُهُ من بعض هـٰؤلاء الذين ينتسبون إلى الفقراء الصوفية وما هم منهم ، ولـٰكنهم قومٌ لا يفقهون ، بل ربما انقسموا فرقتينِ : فرقة تقول : (لا إلـٰهَ) ، والأخرىٰ تقول : (إلا الله) ! ويتواجدون في ذلك ، ويستفزُّهم الشيطان[2] .

---

(1) رواه مالك في « الموطأ » (١/ ٢١٤) عن طلحة بن عبيد الله بن كريز رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(2) وما هـٰذا بسبيل السادة الصوفية ، وفي « الأسماء والصفات » للبغدادي (١/ ٥٢٧) : =

وليحذر ممَّا يقع لبعضهم ؛ من تفخيم أداة النفي ، وربما مالَ بأَلِفِها لجهة الشفتينِ فتصيرُ كالواو ، أو لجهة وسطِ اللسان وما فوقه فتصيرُ كالياء ، أو يبدلُ همزة (إلـٰه) ياء ، أو يشبعُ الهمزة فيتولَّدُ منها ياءٌ ، أو يزيد في ألف (إلـٰه) على المدِّ الطبيعي ، أو يسكتُ هناك سكتةً ، أو يشبعُ همزة (إلا) فيتولد منها ياء ، أو يثبت ألفها ؛ **فإنه لحنٌ** ، بل يجبُ حذف ألفِ (إلا) الأخيرةِ ؛ لالتقاء الساكنين ، وهـٰؤلاء الجهلةُ يثبتونها ويمدُّونها ، ويتغنَّونَ في مدِّها ، وبعضهم يمدُّ هاءَ (إلـٰه) ويولِّدُ من إشباعها ألفاً ! بل سمعت بعضَهم يثبت همزةَ (الله) ويمدُّها حتىٰ يصيرَ كالاستفهام ، وكلُّ هـٰذا مخالفٌ لما نطقَ به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأمرَ به .

وتارةً يزعمون أنَّهم انجذبوا ، فيأكلون بعضَ حروف هـٰذه الكلمةِ ويحرِّفونها ، وربما لم يُسمع منهم إلا أصواتٌ ساذجة ، أو شيء يشبه بعضَ شهيق الحمار أو أزيزِ الطائر !

ويرحمُ الله الشيخ عبدَ الرحمـٰن الأخضريَّ صاحب « سلَّم المنطق » حيث قال في منظومته المشهورة[1] : [من الرجز]

وَيَنبِحونَ النَّبْحَ كالكلابِ طريقُهم ليسَتْ على الصوابِ

= (كان الشبلي يقول : « الله » ، فقيل له : لِمَ لا تقول : « لا إلـٰه إلا الله » ؟ فقال : أخشىٰ أن أموت في وحشة الجحود) ، ويعني بوحشة الجحود : النفي من (لا) التبرئة واسمها في كلمة التوحيد .

(١) انظر « المنظومة القدسية » (ق ٣) ، وقد طاب لبعض المبتدعة أن يسلك طريقاً بشعاً ؛ حيث طبع هـٰذه المنظومة المنوَّرة ضمن رسائل تشاكلها في الحقِّ ، إلا أنه دلَّسَ لنصرة مذهبه ، وهو أمرٌ لا يخفىٰ علىٰ بصير .

نعم ؛ المأخوذُ عن حسِّهِ ، الغائبُ عن نفسه . . كلُّ ما جرىٰ علىٰ لسانه لا لومَ فيه ، **وإنما كلامُنا في هٰؤلاء الذين يتعمَّدون ذلك** ، وهم باختيارِهم لم يخرجوا عن حدِّ التكليف ، ويطرأُ لهم مواجيدُ نفسانيةٌ ، يتخيَّلونها وارداتٍ رحمانية ، كلَّا واللهِ ما كلُّ وَجْدٍ بمحمود ، إلا إذا وردَ علىٰ طريق الشريعة المحدود .

بَخَسوا أنفسَهم في نطقِهم بهٰذه الكلمة[1] ، التي تُوضعُ في بطاقة صغيرة يومَ القيامة في الميزان فترجَحُ علىٰ سجلَّاتٍ كثيرة من السيئات ، كلُّ سجلٍّ منها مدَّ البصر كما في الحديث[2] ، **فيا ليتَ شعري ! كيف توزن لهم** ؟!

بل يُخشىٰ من تقطيع أسماءِ الله تعالىٰ وتحريفِ أذكاره أنهم يذكرونها وهي تلعنُهم ؛ كما ذكروا في التحذير من تَرْكِ التجويد حديثَ : (ربَّ قارئٍ للقرآنِ والقرآنُ يلعنُهُ)[3] .

وأما الاهتزازُ حالةَ الذكر : فليسَ من الأمر المشروع .

نعم ؛ استحسنَ بعضُ أشياخنا الشاذليةِ أن يبدأَ بالنفي من أسفلِ قلبه من جهة اليسار ، ويدورَ به ملاحظاً الإعراضَ عن دائرة الأغيار من الكائناتِ إلىٰ

---

(١) **يعني** : لو أنهم نطقوا بها علىٰ وجهها الشرعي لكتبت لهم ، ولٰكنهم نقصوا أجرهم حين حرَّفوا لفظها .

(٢) رواه الترمذي (٢٦٣٩) وحسَّنه ، وابن ماجه (٤٣٠٠) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) أورده الإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/٢٦٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه بنحوه ، وفي « الدر المنثور » (٤/٤١٣) عن ميمون بن مهران أنه قال : (إن الرجل ليصلي ويلعن نفسه في قراءته ، فيقول : ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود : ١٨] ، وإنه لظالم) .

جهة اليمين ، حتىٰ يختمَ بالإثبات علىٰ أعلى القلبِ في جهة اليسار ؛ لتثبتَ فيه أنوار الأذكار ، وليتنشَّطَ بالحركة .

وهـٰؤلاء لهم هِزَّةٌ بأكتافهم وأردافِهم وأعطافهم هي الرقصُ بعينه ، ولا سيما إذْ كان فيهم الأحداثُ يطيبُ لهم إذ ذاك الحال ويحسن ! فإنَّا لله وإنَّـا إليـه راجعـون ، ويسمُّـونَ مَـنْ يـراعـي تلـك الهـزَّاتِ ويجـاري تلـك الأصواتَ . ذِكِّيراً ! حاشىٰ لله .

وقد أخبرني بعضُ أهل العلم[١] : أنه وقفَ مرَّةً مع هـٰؤلاء ، فعمدَ إليه شخصٌ هو محتاجٌ لأن يستفيدَ منه عقائدَ دينه[٢] ، وبراهينَ يقينه ، وتصحيحَ عباداته ومعاملاته ، فأخَّرَهُ عنهم ، وقال له : أنت لا تعرفُ تذكرُ ، فقال له ذلك الطالبُ : أليس الذكرُ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) ؟! وأنا أعرفُ أقولُهُ ، فانظرْ ثم انظرْ .

والداهيةُ الطامَّةُ : إذا نُهُوا قالوا : (لا تعترضْ) ! وهـٰذا أدهىٰ وأمرُّ ؛ يجعلون تعليمَ السنة الشرعية اعتراضاً يُنهىٰ عنه ، وما خالفَها إسلاماً وانقياداً ، هـٰذا أمرٌ يُخشىٰ منه الكفرُ والردَّةُ .

وأما إذا غنَّىٰ لهم منشدٌ حالةَ الذكر : فهناك راعَوا ألحانَهُ وحركاتِهِ ، وجعلوا الذكرَ تابعاً للهوىٰ في نَهَزاته[٣] ، أفلا يعلمون أن كلمةَ الله هي العليا ، ولذكرُ الله أكبرُ ؟!

---

(١) فوق هـٰذه العبارة في (ب) : (وهو الشيخ محمدٌ السويفي . انتهىٰ ، قاله العلامة الأميرُ الصغير) .

(٢) يعني : لأن يستفيد هـٰذا الشخص عقائدَ دينه من ذاك العالم .

(٣) في (أ) : (للهو) بدل (للهوىٰ) ، والنَّهْزُ : الحركة .

وربما لم يعجبوا المنشدَ ، فيبتدِئُ بهم الذكر ، وينتقلُ ويغيِّرُ على موافقة هواه ، فيصيرُ المغنِّي شيخاً ! فإنَّا لله .

ويشتغلون عن الذكر بسماع معاني الشعر ويتأوَّهونَ ، ﴿ وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٤] ، أفلم يسمعوا حديثَ : « أنا جليسُ مَنْ ذكرَني » ؟ ! (١) فمَنْ هٰذا الذي يقول : « أنا » ؟ هٰذا ملكُ الملوك وإلٰهُ الآلهة الكبيرُ المتعال ، أفلا ينظرُ الإنسان كيف يجالسُهُ ويذكرُهُ وهو يقول : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] ؟ ! **فلتنظرْ كيف تذكرُهُ لتعلمَ كيف يذكرُكَ** .

ويرحم اللهُ شيخنا العلامة العدويَّ ؛ حيث نهى عن الإنشاد حالةَ الذكر ؛ سدّاً لهٰذه المفاسد ، وإن كان أصلُ مَنِ استحسنَهُ على حدِّ الأدب من الشيوخ لم يخرجْ عن حُسْنِ المقاصد ، **ولٰكنَّهم تفاحشوا به الآن** ، حتى لحقَتْ حِلَقُ الذكر بالمغاني ، **وصاروا يتَّخذونها في ليالي الأفراحِ وغيرها فُرجةً كالملاهي** ، وربما أضافوا لذلك الطبولَ والكاسات ، وعبَّروا بعبارات نهى الشارعُ عن مسمَّياتها ؛ كالخمر والحانِ والدَّير والنَّدْمان وغيرِ ذلك من أسماءٍ اخترعوها ومنكراتٍ ابتدعوها .

فيا أيُّها المشايخُ المسلِّكون ، **والأئمَّةُ الهادون** ؛ أهكذا كانت طريقةُ القوم ، أم التصوُّفُ صار لهٰذه الحالةِ عندَكم اليوم ؟ ! وهل هٰذا إلا غيرُ

---

(١) بهٰذا اللفظ رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٨٦) عن كعب الأحبار في ذكرِ مناجاة سيدنا موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ لربه ، وروى البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إن ذكرني . . . » الحديث .

ما كان عليه نبيُّنا محمد صلَّى الله عليه وسلَّمَ وأصحابه ؟ ![1] .

ورحمَ الله تعالى العارف ابنَ الحاجِّ حيث أنشدَ في كتابه « المدخل »[2] : [من البسيط]

ليسَ التصوُّفُ لُبْسَ الصوفِ تَرْقَعُهُ ... ولا بكاؤُكَ إنْ غنَّى المغنُّونا[3]

ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طربٌ ... ولا اختباطٌ كأنْ قد صرتَ مجنونا

بل التصوُّفُ أنْ تصفو بلا كدرٍ ... وتتبعَ الحقَّ والقرآنَ والدينا

وأنْ تُرىٰ خاشعاً للهِ مكتئباً ... علىٰ ذنوبكَ طولَ العمرِ محزونا

فيا أهلَ البطالة والكسل ؛ ليس التصوفُ إلا علمٌ وعمل[4] ، **ويا أهلَ التخليط واللَّبْس** ؛ ليس التصوف إلا مجاهدةَ الشيطان والنفس .

فإن قالوا : نحن نتشبَّهُ بمن نُقلَ عنه التواجدُ والطرب وغيرِهِ من السادات .

قلنا : ما يصدرُ عنهم : **إما في حالةٍ أخرجتْهم عن حدِّ التكليف** ، كما نُقِلَ عن بعضهم : أنه يتداوىٰ من غلبةِ الحال التي لا يطيقُها بالسماعِ ، **أو إنه**

---

(١) في (أ) : (وهل هٰذا عين ما كان . . .) على الاستفهام الاستنكاري ، وكلاهما بمعنىً .

(٢) المدخل (٤/ ٢٣) عن بعضهم .

(٣) قوله : (**بكاؤك**) ؛ يعني : ولا هو بكاؤك . . . إلىٰ آخره .

(٤) كذا علىٰ لغة بني تميم ؛ فعندهم إذا اقترن خبرُ (ليس) بـ (إلا) يرفعونه حملاً علىٰ (ما) في الإهمال عند انتقاض النفي ، كما حمل أهل الحجاز (ما) علىٰ (ليس) في الإعمال عند استيفاء شروطها ، ومثالُ ما هنا قول العربي : (ليس الطيبُ إلا المسكُ) . انظر « مغني اللبيب » (١/ ٣٩٦) .

من باب زلةِ العالِمِ التي لا يُؤاخذُ بها ؛ لأن المجتهد مثابٌ ، أخطأ أو أصاب ، لـٰكن لا يُقتدىٰ به فيها ؛ لأن له نيَّةً تخصِّصُهُ ، وحالة تخلِّصُهُ .

وما بالُهم لم يتشبَّهوا بهم في مبادئ سلوكِهم ومجاهداتهم ، بل تجاوزوا حدودَ نهاياتِهم ، بل تزبَّبوا قبل أن يتحصرموا[1] ، ويَحقِرونَ غيرَهم ويعجبونَ ويستكبرون ، ويحسبون أنهم علىٰ شيء ، وهلا سلكوا طريقَ القوم حتىٰ يصيروا مثلَما صاروا ، بعد أنْ ساروا ؟! بل عكسوا القضية ، فعظُمَتْ عليهم البليَّة .

وَصل

[في قَرْنِ التوحيدِ بالرسالةِ عندَ الذكرِ]

فإن قيلَ : فهل يقتصرُ الذاكر علىٰ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) ، أو يضيفُ لذلك (محمدٌ رسولُ اللهِ) ؟

قلت : كلاهما حسنٌ ، وقد تلقَّيْنا الطريقتينِ عن أشياخنا الشاذليةِ[2] ، **وفي الشرعِ الإرشادُ لهما** ؛ فإن في أول الأذان والإقامة الجمعَ بينَهما ، وفي آخر كلٍّ منهما الاقتصارَ علىٰ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) ، علىٰ أن (محمدٌ رسولُ الله) مندرجةٌ أيضاً ضمناً في (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) ؛ حيث قالها امتثالاً لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ واتباعاً له . . فقد صدَّقَهُ في دعوى الرسالة .

---

(١) حكاية للمثل المشهور : (تزبَّبَ قبل أن يتحصرم) . انظر « تاج العروس » (ح ص ر م) .

(٢) والذي اختاره الإمام الساحليُّ في « بغية السالك » (ص١٦٠) ، وتبعه الإمام السنوسي في « شرح العقيدة الصغرىٰ » (٣٢٦) . . لزومُ الاقتران .

ولذلك حُكِيَ : أن الشيطانَ قال يوماً لعيسىٰ عليه السلام : يا روحَ الله ؛ قل : (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) ، فقال : أقولُها لا لقولك ، أراد اللعينُ أن يثبتَ له تبعيَّةً علىٰ عيسىٰ ، فتفطَّنَ عيسىٰ لذلك[1] .

وصلٌ

[في جمعِ القلبِ والهمَّةِ عندَ ذكرِ اللسانِ]

ولا يكن حظُّكَ من الذكر مجرَّدَ اللسان ، بل أشغل الجَنانَ بعظمة المذكور ؛ فإن القلب بيتُ الربِّ[2] ؛ قال اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ، والعلمُ يتعلَّقُ بالمعنىٰ .

فمعنىٰ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) : لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ[3] ؛ فمعنى الإلـٰه :

---

(١) أورده العارف الحاتمي في « الفتوحات المكية » (١/ ٢٨٣) ، والتفطُّن شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(٢) يعني : بيت معرفته سبحانه ؛ إذ بيتوتةُ كل شيء بحسبه ، فلما كان القلب محلّاً للمعرفة كانت البيتوتة فيه علىٰ هـٰذا المعنىٰ ، وكانت معرفة الله عزَّ وجل كاللؤلؤة في محارة القلب ، وهو معنىٰ قولِ الأديب العارف بالله عمر اليافي رحمه الله تعالىٰ : (موشح من مجزوء الكامل)

لـك فـي قلبـي دارُ
وعليـك القلـبُ دائـرْ
وعلـىٰ مـرآك داروا
فـي الحمىٰ أهـل الـدوائرْ

انظر « ديوانه » (ص٢٠٣) .

(٣) نقل العلامة الجمل في « حاشيته علىٰ شرح العقيدة الصغرىٰ » (ق٥٠) عن شيخه العلامة شهاب الدين المَلَّوي : (إن قلت : حلُّ المنفيِّ بـ « لا إلـٰه إلا الله » : المعبود بحق ، أو المعبود بباطلٍ ؟ =

المعبودُ بحق ، ويلزم أن يتَّصفَ بصفات الكمال لا كصفاتِ الحوادث ، وأن يستحيلَ عليه كلُّ نقص ، وأنه المستغني عن كلِّ ما سواه ، ويفتقرُ إليه كلُّ ما عداه[1] ، لا تنفعُهُ طاعة ، ولا تضرُّهُ معصية ، ولا يتَّصفُ بالأغراض في الأفعال والأحكام .

وقيل : اشتقاقُ الإلـٰه : من وَلَهِ العقول ؛ أي : تحيُّرِها في عظيم مجدِهِ[2] ، وتعلُّقِها به ، وفزعِها إليه .

ويُعظِّمُ الذاكرُ ربَّهُ بقَدْرِ احتياجه إليه ، فلينظر هل له عنه غنىً في حالٍ من الأحوال ؟! وهل الكلُّ إلا منه وإليه ؟! ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورىٰ : ٥٣] ، وهو علىٰ كلِّ شيء قدير ، وبكلِّ شيء محيط ، لا رادَّ لقضائه .

ويعينُ علىٰ ذلك : التفكُّرُ في آياته ، وبديعِ مخلوقاته ؛ ﴿ لَخَلْقُ

= **قلت** : هـٰذه المسألة وقع فيها مناظرة بين سيدي عبد الله الهبطي ، وسيدي محمد اليستثني شيخ المنجور ؛ فالأول قال : النفي إنما يتسلط على الآلهة المعبودة بالحق ، وظاهر كلام السنوسي معه ، وانتصر له شيخ مشايخنا العلامة اليوسي ، وألَّفَ في ذلك مجلداً ضخماً ، والثاني قال : التعميم إنما يتسلط على الآلهة المعبودة بباطل ؛ تنزيلاً لها منزلة العدم ، وذكر السُّكْتاني في « حواشي الصغرىٰ » أنه صحيح ؛ لجريه على الأسلوب البياني) ، ثم قال : (**وحاصل التحقيق في المسألة** : أن الحق مع الشيخ الهبطي) .

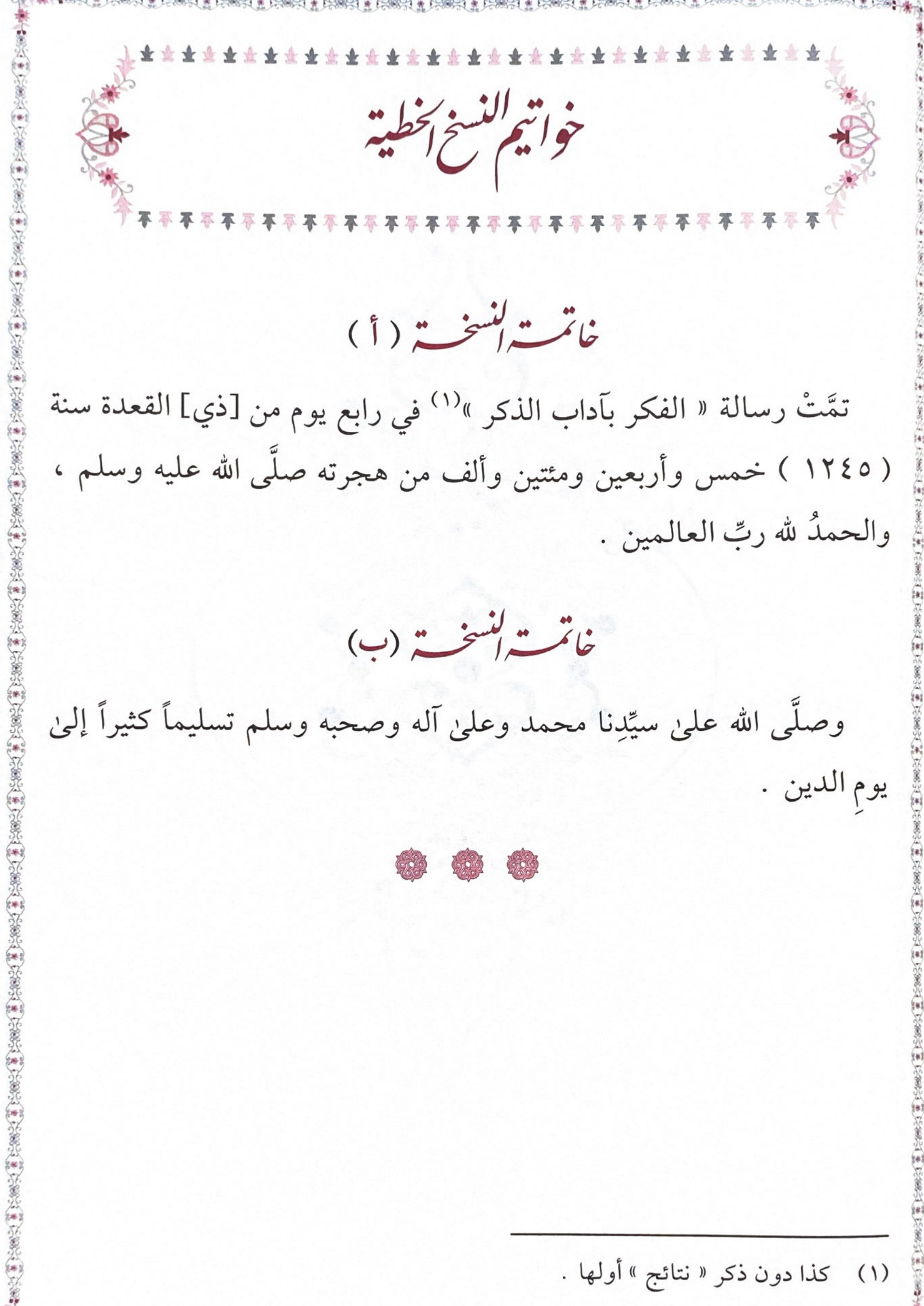
(١) قال الإمام السنوسي في « العقيدة الصغرىٰ » كما في « شرحها » (ص٩٦) : (**فمعنىٰ « لا إلـٰه إلا الله »** : لا مستغنياً عن كلِّ ما سواه ، ومفتقراً إليه كلُّ ما عداه . . إلا الله تعالىٰ) .

(٢) لم يذكر العلامة البغدادي في « الأسماء والصفات » معنى التحير ، لـٰكن نقل (١/٥٢٦) عن الشبلي قوله : (إنما خاطبهم بهـٰذا الاسم ليزدادوا في توحيده تحيُّراً وعجزاً عن إدراكه ، فالعجز عن دَرَكِ الإدراك إدراك) .

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر : ٥٧] ، ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] .

واعلم : أنه لا يمكنُ العبدَ الضعيف القيامُ بحقِّ ذكر ربِّ الأرباب على الوجه الأكمل ، **لكن لا يَتركُ الذكرَ لأجل ذلك** ، بل يذكرُ مع اعترافه بالعجزِ والتقصير ، لعلَّ الله تعالىٰ يقبلُهُ ويرقِّيهِ من مقام لمقام ؛ فإنه تعالىٰ يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، و﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق : ١] ، و﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧] .

والحمد لله رب العالمين



خواتيم النسخ الخطية

خاتمة النسخة (أ)

تمَّتْ رسالة « الفكر بآداب الذكر »[1] في رابع يوم من [ذي] القعدة سنة (١٢٤٥) خمس وأربعين ومئتين وألف من هجرته صلَّى الله عليه وسلم ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

خاتمة النسخة (ب)

وصلَّى الله علىٰ سيِّدِنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلىٰ يومِ الدين .

(١) كذا دون ذكر « نتائج » أولها .